



قراءة في كتاب: المسيحيون في الجزائر مشاركة أمل للأسقف هنري تيسي Reflection on a Book: Christians in Algeria – A Sharing of Hope Henri Tessier

باي بن زيد

مخبر الدراسات الشرعية

جامعة تلمسان (الجزائر)

daoudroot@gmail.com

مولود بركان*

مخبر الدرس العقدي المعاصر في الجزائر ووصلته بقضايا الواقع

جامعة تلمسان (الجزائر)

berkanemouloud19@hotmail.fr

تاريخ النشر: 2025-07-15

تاريخ القبول: 2025-04-26

تاريخ الاستلام: 2025-01-14

ملخص:

من الذين كتبوا في شأن المسيحية في الجزائر بعد الاستقلال كبير أساقفتها هنري تيسي (Henri Teissier) الذي خصص كتابه: "المسيحيون في الجزائر مشاركة أمل" (Chrétien en Algérie: Un Partage d'Espérance)، للحديث عن العمل ضمن استراتيجيات التواجد المستمر للكنيسة في الجزائر مهما كلفها من تضحيات، ويعرج على الأحداث التي تعرضت لها الكنيسة في الجزائر بعد الاستقلال، كما ركز على ذكر ضحاياها من 1985 إلى 1996م بأسمائهم وتواريخهم والمهام الكنسية المسندة إليهم وظروف اغتيالهم. قدّم الجزائر على أنّها بلد مسلم بالأغلبية العظمى، والكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية لا تمثل إلا فئة مسيحية قليلة في البلاد، وتتكون من الأجانب الأوروبيين، ومسيحي الشرق الأوسط الذين قدموا للعمل غداة الاستقلال، وبعض الطلبة الأفارقة، وأفراد السلك الدبلوماسي المسيحي، وبعض الجزائريين الذين تنصّروا زمن الاحتلال، وقد غادروا البلاد غداة الاستقلال؛ يلخص تجربة الكنيسة المخضرمة في الجزائر التي قدم إليها سنة 1951م، ونال جنسيتها، وعاش فيها إلى غاية وفاته، ويصف كنيسته بأنّها تعمل من أجل إنسان الغد.

الكلمات المفتاحية: الكنيسة؛ هنري؛ تيسي؛ الاستقلال؛ التنصير.

Abstract:

Among those who wrote about Christianity in Algeria after independence is Archbishop Henri Teissier, who dedicated his book to talk about Church's presence in Algeria. He focuses on events that affected Church in Algeria after independence, as well as its victims from 1985 to 1996, with their names and dates, ecclesiastical tasks assigned to them, and circumstances of their assassination. He presents Algeria as predominantly Muslim country, and Catholic and Protestant churches represent only a small Christian community in country, consisting of European foreigners, Middle Eastern Christians who came to work after independence, some

* المؤلف المراسل.

African students, members of Christian diplomatic corps, and some Algerians who were Christianized during occupation and left country after independence. He summarizes the experience of the veteran church in Algeria, to which he came in 1951, obtained citizenship, and lived there until his death. He describes his church as working for the man of tomorrow.

Keywords: Church; Henri; Tessier; Independence; Christianization.

1. مقدمة

كان للصراع الدوناتي الكاثوليكي في الجزائر الأثر الكبير في تلاشي الكنيسة، واعتناق الأمازيغ - سكان شمال إفريقيا - الإسلام عن بكرة أبيهم، ما اعتبره المسيحيون في الضفة الأخرى خطأ لا يغتفر، في حين بقيت الأقلية النصرانية في شرق المتوسط متمسكة بنصرانيتها إلى اليوم⁽¹⁾.

وتلاشي المسيحية جعل الجزائر تعيش مسلمة موحدة في ديانتها، إذ لم يكن التواجد المسيحي فيها إلا في إطار التجارة، أو الارتزاق، أو الأسر، واستمر الوضع على ما هو عليه بين شدّ وجذب بين ضفتي المتوسط لقرون⁽²⁾، وازداد مع الحروب الصليبية وطرد الموريسكيين، وبعدها احتلال الإسبان لبجاية ووهران، ثم طردهم وفرض الإتاوة من طرف الأسطول البحري الجزائري في البحر المتوسط ووصله إلى أعالي بحر الشمال.

كان التفكير جدياً في إعادة شمال إفريقيا وبالخصوص الجزائر إلى الحاضنة المسيحية بعد حلول فرقة العازارين لأول مرة بأرض الجزائر سنة 1646م، وحين سقطت مدينة الجزائر في 1830/07/05م على يد قائد الحملة العسكرية الفرنسية الجنرال دو برمون (De bermont)، ودخلها منتصراً، خاطب القساوسة الستة عشر عشر (16) الذين رافقوا الحملة بمسوحهم على متن سفينة خاصة، قائلاً: "إنّكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في إفريقيا، ونأمل أن تينع قريباً الحضارة التي انطفأت في هذه الربوع"⁽³⁾.

وفي ظل الاحتلال الفرنسي تمكّنت الكنيسة من الانغراس والانتشار، وتأسست أسقفية الجزائر سنة 1838م. وهذا ما يؤكده رئيس الأساقفة في الجزائر في كتابه "المسيحيون في الجزائر مشاركة أمل" (Chrétien en Algérie un partage d'espérance)، ويرى ذلك ضمن استمرارية الكنيسة التي لم ينقطع وجودها في الجزائر منذ الكنيسة القديمة، وتواجدها في الجزائر بعد الاستقلال وكذا التضحيات التي قدمتها يندرج أيضاً ضمن هذه الاستمرارية وهذا الانغراس من أجل إنسان الغد.

إشكالية الدراسة:

ما مدى تحول الكنيسة في الجزائر بعد الاستقلال إلى استراتيجية التواجد والاستمرار في نظر الأسقف هنري تيسي (Henri Teissier) من خلال كتابه المذكور آنفاً؟

(1) Henri Teissier, Chrétien en Algérie un partage d'espérance, p 98.

(2) Ibid, p 99.

(3) التميمي عبد الجليل، من ملامح التفكير التبشيري عند المسؤولين الفرنسيين في القرن التاسع عشر في الجزائر، ص 996.

ويتفرع من هذا الإشكال مجموعة من الأسئلة هي:

- من هو الأسقف هنري تيسي (Henri Teissier)؟
- ما هي الطروحات التي قدمها في كتابه؟
- ما أثر هذه الطروحات في الجزائر بعد الاستقلال؟

أهداف الدراسة:

- التعريف بالأسقف هنري تيسي (Henri Teissier).
- الوقوف على تاريخ الكنيسة في الجزائر بعد الاستقلال.
- بيان النشاط الكنسي في الجزائر بعد الاستقلال وأثره.

أهمية الدراسة:

- التعرف على أحد رؤساء أساقفة كنيسة الجزائر من خلال مؤلفه.
- خطر النشاط الكنسي في الجزائر بعد الاستقلال.
- الإسهام في إثراء المكتبة الجزائرية بالدراسات التخصصية في الدين والتاريخ.

الدراسات السابقة:

الكتاب في أصله باللغة الفرنسية، وغير مطبوع بالجزائر وإنما اقتنيته من بلد أجنبي (فرنسا)، ولم يستفد من دراسات سابقة حيث تمت طباعته سنة 2002 م، وكاتبه وافته المنية في 01-12-2020 م، وقد تواصلت مع مركز الدراسات الأسقفية بالأبيار بالعاصمة، ومركز الآباء البيض بمدينة تيزي وزو، وكذلك العديد من الشخصيات المهتمة بالمجال دون أن أجد عندهم من حاجتي شيئا يذكر.

منهج الدراسة:

اقتضت طبيعة البحث أن أوظف المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي من خلال التعرف على المؤلف وحياته ومكانته العلمية، ووصف الكتاب وما يحتويه، وعرض أفكاره من خلال المحاور التي طرحها.

خطة الدراسة:

- مقدمة تناولت فيها لمحة تاريخية عن تواجد الكنيسة في الجزائر.
 - المبحث الأول: تناولت فيه التعريف بالأسقف هنري تيسي (Henri Teissier) وكتابته.
 - المبحث الثاني: تناولت فيه النشاط الكنسي في الجزائر بعد الاستقلال من خلال الكتاب.
 - خاتمة تناولت فيها بعض النتائج المتوصل إليها من خلال القراءة.
- وفي الأخير أسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

2. التعريف بالأسقف هنري تيسي (Henri Teissier) وكتابه.

1.2. التعريف بالكاتب:

ولد هنري تيسي (Henri Teissier) في 1929/07/21 م بمدينة ليون (Lyon) بفرنسا، من عائلة فرنسية كانت قد قدمت إلى الجزائر سنة 1849 م، واستقرت بمدينة سكيكدة، ولكن جدّه لأبيه عاد إلى فرنسا وتزوج هناك، واستقر مع عائلته في منطقة ليون⁽¹⁾.

انتقل أبوه بعد عام من ولادته إلى منطقة فونتان بلو (FontaineBleau) بفرنسا حيث كان أبوه يشتغل مدرباً لركوب الخيل. وفي سنة 1937 م انتقل من جديد إلى مدينة باريس (Paris) حيث أصبح مدرسا بالمدرسة الحربية بباريس، وسجل ابنه هنري (Henri) في مدرسة ابتدائية تابعة لفرقة إخوة المدارس المسيحية أين درس سنتين، وحينما اندلعت الحرب العالمية الثانية سنة 1939 م كان لا بد على الوالد أن يكون في الجبهة ضد ألمانيا في مدينة ماتز (Metz))، فانتقلت الأسرة دونه إلى مدينة نيم (Nîmes) في الجنوب الغربي، ثم إلى مدينة مونبيلييه (Monpellier) حيث انضم هنري تيسي (Henri Teissier) إلى مدرسة الآباء اليسوعيين وأكمل دراسته الابتدائية وانخرط في العمل الكشفي⁽²⁾.

ونظراً للحكم الذي صدر في حق أبيه بالسجن لمدة عشر سنوات لفراره من الخدمة العسكرية، اضطرت أمه للتكفل بالعائلة، وعادت سنة 1943 م إلى منطقة فونتان بلو (FontaineBleau) وسجلته في مدرسة هذه المدينة حيث كان يحضر القديس اليومي في خورنية المدرسة التي تلقى فيها المبادئ الروحية العالية للمسيحية وكان عمره 15 سنة⁽³⁾.

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية في عيد الفصح سنة 1946 م تم تعيين الوالد برتبة عقيد في الجيش، وهنا أرسل إلى المغرب حيث التحقت به الزوجة والأولاد الثمانية عن طريق الباكسة إلى وهران، ثم إلى مدينة فاس المغربية، وبعد شهر إلى مدينة مكناس أين أكمل التلميذ هنري (Henri) دراسته إلى المستوى النهائي في الفلسفة ب ثانوية المدينة وتحصل على شهادة البكالوريا، وكانت رغبته التي أفصح عليها لوالديه أن يصبح قسيساً، ولكن والده طلب منه أن يتحصل على شهادة جامعية قبل ذلك، وهنا التحق بجامعة الرباط ليتحصل على شهادة الليسانس في الأدب الكلاسيكي، وفي نهاية سنة 1947 م انتقل أبوه من جديد إلى الجزائر كي يتعين نائباً لقيادة مدفعية الميدان، أما هنري (Henri) فقد التحق بجامعة السوربون بفرنسا ليتحصل على شهادة الليسانس في الفلسفة، وبعدها بالمعهد الكاثوليكي التابع للكنيسة الكاثوليكية

(1) martine de sauto, Henri Teissier un évêque en Algérie, De l'Algérie Française à la crise islamiste, p15.

(2) Ibid, p18 .

(3) Martine de sauto, Henri Teissier un eveque en Algerie, De l'Algerie Française à la crise islamiste, p 20.

بباريس (Paris) ليتحصل منه على شهادة الليسانس في العلوم اللاهوتية سنة 1955م، وكان يزور العائلة في الجزائر أثناء الإجازة الصيفية⁽¹⁾.

وأثناء تواجده بالمعهد الكاثوليكي كان يحضر جلسات الحوار بين الأديان خارج أوقات الدراسة، ويعلم المسيحية في الكنائس القريبة من المعهد، كما يقوم بزيارات للمرضى في المستشفيات ويقدم لهم دروس وعظية في المسيحية⁽²⁾.

التحق هنري تيسي (Henri Teissier) بعد ذلك بخورونية حسين داي بالجزائر العاصمة ليسهر على تعليم الذكور الديانة المسيحية ومبادئها مع أخوات القديس فانسان دوبول (Vincent de paul)⁽³⁾ اللواتي يتكفلن بالبنات.

وتم تعيينه أسقفا لأبرشية الجزائر في 25 مارس 1955م⁽⁴⁾، سافر بعد ذلك إلى القاهرة لدراسة اللغة العربية والدراسات الإسلامية إلى غاية سبتمبر 1958م ثم عاد إلى الجزائر حيث أسند له رئيس أساقفة الجزائر آنذاك إيتيان دوفال (Etienne Duval)⁽⁵⁾ مهمة القيام بشؤون خورونية بلكور بالعاصمة إلى غاية الاستقلال.

لم يغادر هنري تيسي (Henri Teissier) الجزائر بعد الاستقلال، وأنشأ مراكز للنشاط في العاصمة متمثلة في أماكن عامة للمحاضرات وقاعات للسينما. وفي نهاية 1970 سافر إلى بيروت بلبنان ثم إلى عمّان بالأردن ليقف بجانب اللاجئين الفلسطينيين الذين أعدمهم ملك الأردن⁽⁶⁾.

وبعد عودته إلى الجزائر تم تعيينه أسقفا لأبرشية الغرب الجزائري بوهران في 1972/12/08م، ثم أسقفا عاما للجزائر مكان دوفال (Duval) في 29 أفريل 1988م⁽⁷⁾ إلى غاية 24 ماي 2008م حيث استقال، وعُين خلفا له الأسقف غالب بدر الأردني الجنسية.

نال الجنسية الجزائرية في شهر فيفري 1965م مع الكاردينال دوفال (Duval) ومجموعة من القساوسة⁽⁸⁾، عُرف بدفاعه المستميت عن استقلال الجزائر، كما عُرف بشخصيته المتزنة الهادئة حتى في

(1) Ibid, p 31.

(2) Ibid, p 46.

(3) فرقة أخوات القديس فانسان دو بول (sœurs de ST vincent de paul): وتسمى كذلك بنات الإحسان، أدارت هذه الفرقة شؤون التعليم في كثير من مناطق الجزائر منذ سنة 1868، ينظر Chanoine P. Repeticci, curé de maison carrée, L'Algérie Chrétienne 1830-1930, p33.

(4) Martine de sauto, Henri Teissier un eveque en Algerie, De l'Algerie Française à la crise islamiste, p352.

(5) تلقى دوفال تعيينه من طرف البابا بيو الثاني عشر (Pie12) في 26 أكتوبر 1946م، وبعد مدة وافق على التعيين كأسقف لقسنطينة وعناوبة في 8 نوفمبر 1946م، ثم عين بعد استقلال الجزائر أسقفا عاما إلى غاية 1988 حيث استقال من منصبه، نال الجنسية الجزائرية سنة 1965، مكث في الجزائر إلى غاية 1996م تاريخ وفاته، ينظر Marie-Christine Ray, Le cardinal Duval un évêque en Algérie, p 43.

(6) Martine de sauto, Henri Teissier un eveque en Algerie, De l'Algerie Française à la crise islamiste, p105.

(7) Denis Gonzalez, Cardinal Léon Etienne Duval La Voix d'un juste (1903-1996), p54.

(8) Ibid, p100.

الظروف الحرجة، فبعد حادثة مقتل رهبان دير تبجرين بولاية المدية، أبدى هنري تيسي (Henri Teissier) تعاونه مع السلطات لكشف الجناة، ودعا المسيحيين الغاضبين إلى ضرورة الفصل بين الفكر التدميري والفكر الإسلامي الصحيح، ولم يهتم الجزائر والجزائريين بتدبير اغتيال رهبان تبجرين لأنه يعلم أنّ المسيحيين وغيرهم قد عاشوا في الجزائر سنوات طويلة آمنين على أنفسهم وأملاكهم وكنائسهم، وقد كانت قيادة الثورة التحريرية توصي الثوار والفدائيين بعدم التعرّض لدور العبادة المسيحية واليهودية.

وتبرأ هنري تيسي (Henri Teissier) في أكثر من لقاء وحوار من العمل التنصيري الذي تقوم به الكنائس البروتستانتية في الجزائر التي تتجاوز الدعاية الدينية إلى محاربة عقيدة ومرجعية الأمة، وتعتمد على أساليب الإغراء والإغواء لتنصير الجزائريين وإدخالهم في المسيحية، وأكد أنّ الكنيسة الكاثوليكية قد تضررت من هذا، وهي تعمل غير منزعة في ظل احترام القوانين والتشريعات المعمول بها في الجزائر، واعترف بأنّ المجموعة المسيحية التي تعيش في الجزائر لا تعاني من أي شكل من أشكال التضييق، وتؤدي طقوسها الدينية في كامل الحرية، مفضّداً بذلك الادّعاءات الكاذبة بشأن التضييق على المسيحيين من خلال قانون ممارسة الشعائر الدينية لغير المسلمين الصادر سنة 2006م⁽¹⁾ الذي يثبته تيسي، على خلاف من انتقده وعدّه مظهراً من مظاهر التضييق على المسيحيين في الجزائر⁽²⁾.

ومُنح هنري تيسي (Henri Teissier) جائزة الأمير عبد القادر للسلام سنة 2018م بمناسبة الاحتفال بالذكرى الست وثمانين بعد المائة (186) لمبايعة الأمير لأنه كان من محبي أفكاره، إذ يعدّه من أوائل من أسّس وكرّس ثقافة الحوار بين الحضارات في زمن الصراعات والعداوات المستحكمة.

كما يُعتبر هنري تيسي (Henri Teissier) من الشخصيات المسيحية المحترمة جداً والمقدّرة عند السلطات الجزائرية باعتبار استقباله في العديد من المناسبات، كما أنّه لا يتوانى إذا دُعي من طرف جريدة معينة للسؤال والحوار.

وافته المنية بمستشفى مدينة ليون (lyon) بفرنسا في 01 ديسمبر 2020م ونقل جثمانه إلى الجزائر، ودفن فيها حسب وصيته⁽³⁾.

وله عدة مؤلفات منها:

- Eglises en islam, méditation sur l'existence chrétienne en Algérie, édition centurion, paris, 1984.
- la maission de l'eglise, édition Desclée de Brouwer, paris, 1985.
- Lettres d'Algerie, bayard -Edition/centurion, paris, 1989.

(1) الجريدة الرسمية، الأربعاء 01 صفر 1427هـ الموافق 01 مارس 2006م، س 43، ع 12، ص 25-27.

(2) قماروي غنية، بلعمري سميرة، بوكروج عبد الوهاب، زيزي حسان، رئيس أساقفة الجزائر هنري تيسي، إليكم أحوال المسيحيين في الجزائر، جريدة الشروق اليومي، الجزائر، ع 0222، 01/20/2002.

(3) سفيان، ع، رحيل صديق الجزائر وداعية الإنسانية والتسامح، جريدة الشروق اليومي، الجزائر، ع 6654، 02/12/2020، ص 24.

- Histoire des chrétiens d’afrique du nord, Libye, Tunisie, Algérie, Maroc, Desclée de brouwer, paris, 1991.
- Chrétiens en Algérie, un partage d’espérance, Desclée de brouwer, paris, 2002.

وله مقالات ومشاركات في مجلات تخصصية منها:

- l’eucharistie en terre d’islam, Christus n 114, avril 1982.
- Réflexion sur la relation islamo -chrétienne dans la crise Algérienne, chemins du dialogue n 9, 1997.
- l’émir, homme de dialogue, chemins du dialogue n 13, 2002.

2.2. بطاقة فنية عن الكتاب:

الكتاب من الحجم المتوسط، ويقع في 235 صفحة، طُبِعَ من طرف دار نشر (Desclée de brouwer) بباريس سنة 2002م، في ورق أقل ما يقال عنه أنّه رديء، والكتاب اقتنيتته من إحدى مكتبات باريس بفرنسا.

وعلى غلاف الكتاب صورة فوتوغرافية لدرب من دروب حي القصبة بالجزائر العاصمة، تعود إلى فترة ما بعد الاستقلال، بها لافتة زرقاء كُتِبَ عليها اسم الشارع باللغة العربية والفرنسية، وقد تسمى الشارع كذلك بكلمة درب، وهذه التسمية أُطلقت على الشوارع في الجزائر بعد الاستقلال، ثم استبدلت في فترة لاحقة بالشوارع والأنهج، كما استبدل في العاصمة شكل اللافتات في الشوارع والأنهج من المستطيل كما هو ظاهر في الصورة إلى المربع النصف دائري من الأعلى كما هو موجود حالياً.

وفي الصفحة الأخيرة من الغلاف تعريف بالجزائر بأنها بلد مسلم بأغلبية ساحقة، والكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية لا تمثل إلا أقلية قليلة جداً، ولكنها ليست خاصة بخدمة المسيحيين في عبادتهم وتكوينهم الديني فقط، وإنما الهدف أن تكون جالية دينية لكل البلد، أي لكل المجتمع الجزائري المسلم.

يتألف الكتاب من مقدمة وستة محاور وخاتمة، وهي:

- المقدمة بعنوان: المؤمنون رجال يتلاقون ويجمعون.
- المحور الأول: الإشارات المعطاة من طرف الشهداء النصاري 1994-1996.
- المحور الثاني: نبذة من التاريخ.
- المحور الثالث: كنيسة الجزائر في قلب الأزمة.
- المحور الرابع: الحياة من أجل دعوة الرب في جزائر اليوم.
- المحور الخامس: العولمة- تخمينات أسقف- انطلاقاً من الجزائر.
- المحور السادس: ما بعد 11 سبتمبر.
- الخاتمة نظرات حول مستقبل الكنيسة في الجزائر.

3.2. منهجية الكتاب:

جمع الكاتب في كتابه بين المنهج التاريخي والتحليلي في سرده للأحداث مع تقديم تحليلات لكثير من المواقف الهامة، كما اعتمد على المنهج الوصفي والاستقرائي في حديثه عن الكنيسة في الجزائر مركزا على مرحلة الاستقلال والخروج الجماعي للمسيحيين، والموتات (الانهيارات) الثلاثة التي تعرضت لها الكنيسة بعد الاستقلال، من غير أن يُهمَل تاريخ الكنيسة في شمال إفريقيا قبل الإسلام وبعده وصولا إلى فترة الاحتلال الفرنسي التي يعتبرها فترة إعادة غرس الكنيسة في الجزائر في العصر الحديث، ولولاها لبقيت الكنيسة مختفية إلى اليوم، وهو خطأ لا يُغتفر في نظره.

ذكر الأحداث التي تعرضت لها الكنيسة بعد الاستقلال بكل مراحلها من غير إحالة إلى مصدر ولا إلى مرجع باعتباره شاهدا عليها معاصرا لها، ذو رتبة ومنصب كنسي يسمح له برصد الأحداث وتتبع مساراتها، كما ركّز على ذكر أسماء وتواريخ ضحايا الكنيسة العشرون من 1985م إلى 1996م، والمهام التي كانوا يمارسونها، وكذا المكان الذي تمّ اغتيالهم فيه والظروف التي سادت الحادثة، وركّز كثيرا على ضحايا دير تيبهرين السبعة، وكيف قدموا حياتهم من أجل الشهادة لشعب مسلم.

كما حاول الكاتب تصحيح بعض الأفكار الغربية التي ادّعت أنّ أجهزة الدولة هي من دبّرت لقتل الرهبان المسيحيين مبينا أنّ المجموعات الإرهابية هي من قتلت الرهبان السبعة في تيبهرين. اشتمل الكتاب على مقدمة وستة ومحاو وخاتمة، تشكل المحور الأول والثاني في غالبيتها من نصوص منشورة في مجلات داخلية لبعض الكنائس في أوروبا، بينما تشكل المحور الثالث والرابع والخامس من محاضرات أُلقيت في ملتقيات وأديرة بأوروبا، وتتميز المحور السادس بكونه عبارة عن حوارات مع جريدتين جزائريتين ناطقتين باللغة الفرنسية هما: جريدة (le soir d'Algérie) وجريدة (El wattan) بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م، وجريدة أخرى فرنسية هي: (La Liberté Fribourg).

هذه المحاضرات والنصوص أشار في الإحالات أنّ بعضها تم تقديمه باللغة الإيطالية في إيطاليا، وبعضها بالاسبانية في إسبانيا، وبعضها باللغة الفرنسية في فرنسا ولم يشر أنه استعان ب مترجم، ولم تكن مجتمعة لا تاريخا ولا مكانا بل هو من جمعها لأنّها من إنتاجه ونشاطه إلا في نصّ أو نصين. كان أسلوبه راقيا مبتعدا عن تجريخ الهيئات والأشخاص، يُعبّر عن آرائه في المواضيع المطروحة بأريحية تامة، ويكتب وهو متأثر بالأوضاع التي سادت الحادثة المعنية إذ عبّر بالموتات (الانهيارات) الثلاثة التي تعرضت لها الكنيسة حينما أشار إلى تاريخها بعد الاستقلال، وحين يذكر ضحايا الأزمة الجزائرية من المسيحيين يصفهم بالشهداء ويثني عليهم كثيرا، وخاصة ضحايا دير تيبهرين بالمدينة.

وحين يُعلق الأسقف هنري تيسي (Henri Teissier) على الحوار الإسلامي المسيحي في الجزائر، يرى أنّ الجزائر تحاور نفسها حوارا عاطفيا، وذلك من خلال ملتقى القديس أوغسطين⁽¹⁾ الذي أشرف عليه المجلس الإسلامي الأعلى، وجعل القديس أوغسطين شخصية عظيمة تنتهي إلى التراث الوطني، ويرى الأسقف هنري تيسي (Henri Teissier) أنّ هذا خيارا لم يكن خارج دائرة الإسلام، رغم أنّ القديس أوغسطين كاثوليكي واعترف بقداسة المسيح، وكافح الدوناتية في بعض الأحيان بحماية وتغطية النظام الإمبريالي الروماني⁽²⁾، وهنا يتساءل الأسقف قائلا: "فهل يُمكن أن يُنظر إليه كابن لهذه الأمة؟"⁽³⁾.

ويُعلق أيضا على رؤيته للحوار الإسلامي المسيحي في الجزائر في ثنايا الكتاب قائلا: "وحوار الجزائر مع نفسها يتلقى سؤالاً عميقاً: هل يمكن أن أكون جزائرياً لا عربياً ولا مسلماً؟"⁽⁴⁾.

ولم يستشهد الكاتب في كتابه بالنصوص المقدسة من الإنجيل إلا مرة أو مرتين، رغم أنه تحدث عن الضمير المسيحي والتقارب مع المسلمين، والكنيسة في خدمة شعب مسلم وغيرها من الأفكار.

تميّز الكتاب بتوثيق الإحالات على الهامش ولم يُخصّص في نهاية الكتاب صفحة للمصادر والمراجع، وتضمن الكتاب في آخره ببليوغرافيا للأعمال المسيحية المنشورة منذ بداية الأزمة الجزائرية في تسعينيات القرن الماضي، والتي كان هدفها كما ذكر تقديم وتوثيق حياة كنيسة الجزائر في الأزمة، وتضمنت هذه الببليوغرافيا الكتب فقط، وعددها ثمانية وثلاثون (38) كتاباً موزعة كما يلي:

- عدد الكتب التي طُبعت باللغة الفرنسية عن كنيسة الجزائر وضحاياها - دون الرهبان السبعة لدير تيبجرين بالمدينة - خمسة.
- عدد الكتب التي تناولت تاريخ وحياة الكنيسة بشكل عام في الجزائر باللغة الفرنسية بين 1997 و2002 أربعة عشر.
- عدد الكتب التي طُبعت بداية من 1982 باللغة الفرنسية وتناولت تاريخ وحياة الكنيسة بشكل عام خمسة.
- عدد الكتب التي طُبعت باللغة الفرنسية وتناولت حياة الرهبان السبعة لدير تيبجرين بالمدينة ثمانية، وباللغة الإسبانية أربعة، وباللغة الإيطالية كتابين اثنين.

(1) من أشهر آباء الكنيسة اللاتينية، ولد بطاجسطا (سوق اهراس حاليا) في 13 تشرين الثاني 354م، توفي في 14 آب 430م، ينظر: جورج طرايوشي، معجم الفلاسفة، ص 107.

(2) Henri Teissier, Chrétiens en Algérie un partage d'espérance, p 195.

(3) Ibid, p 195.

(4) Henri Teissier, Chrétiens en Algérie un partage d'espérance, p 195.

3. النشاط الكنسي في الجزائر بعد الاستقلال من خلال الكتاب

1.3. تمهيد:

يتألف الكتاب من مقدمة وستة محاور وخاتمة، تشكل كتلة متكاملة منسجمة مع عنوانها، وقد شرع الكاتب في المقدمة بتعريف الجزائر بأنها بلد مسلم بالأغلبية العظمى في سكانه، ثم تطرق إلى الكنيسة في الجزائر بطائفتها الكاثوليكية والبروتستانتية واصفا إياها بأنها لا تمثل إلا فئة قليلة مسيحية، وذكر أنها تتكون من خمس فئات، هي:

- 1- مسيحيون ذوو أصل أوروبي، تجنس بعضهم بالجنسية الجزائرية وبعضهم لم يتجنس.
 - 2- طلبة أفارقة جاءوا من الصحراء الكبرى للدراسة بالجزائر.
 - 3- تقنيون وفنيون ومعلمون من الشرق الأوسط قدموا للتعاون والعمل، ثم غادروا الجزائر بعد تدهور قيمة الدينار سنة 1988م.
 - 4- عمال الورشات والشركات البترولية.
 - 5- بعض الجزائريين الذين تنصروا لأسباب تاريخية وغادروا الجزائر بعد الاستقلال.
- ووصف الكنيسة في الجزائر بأنها ليست مخصصة للعبادة ولتكوين المسيحيين فقط، ولكنها تريد أن تكون أقلية دينية منتشرة في البلاد، حتى يكون الاقتراب والتعايش مع الجزائريين، ولأن أكثر المسيحيين وُلدوا شمال البحر الأبيض المتوسط، إضافة إلى التاريخ الطويل من الصراعات الذي جعل المسيحيين والمسلمين على غير اتفاق، وبالتالي فمن الواجب استبدال العداوة بالأخوة والتعايش جنبا إلى جنب بعيدا عن مشاعر العداء والكراهية، ويشير الأسقف إلى أن هذه الأخوة تكون باعتبار الإنسانية والاستجابة لنداء الرب الذي هو القناة الحقيقية لجميع مشاعر الحب والاحترام، ومع هذا يبقى كل وفق طقوسه الدينية، وفي نفس الوقت العمل المشترك لصالح المجتمع الجزائري لأجل التكفل بالفقراء والمتشردين، والذين اهتزت حياتهم الاجتماعية.

وبالنسبة للأسقف فالمؤمنون هم الذين جاءهم النداء للالتقاء من أجل الخالق الذي خلق الجميع، وهذه الحياة الأخوية والجوارية تكون في صور شتى، بعضها في الأعمال المشتركة من أجل الأشخاص المعوقين، وبعضها من أجل النساء في وضعية صعبة، وبعضها في الدفاع الجماعي لأجل حقوق الإنسان وحقوق المرأة، وحقوق الطفل، في صلوات مشتركة.

هذه المثالية لا تكون فقط في الظروف اليسيرة، بل تكون أيضا في الظروف العسيرة، وبهذه الطريقة استطاعت الكنيسة أن تتجاوز الأزمة التي عاشها المجتمع الجزائري إبان التسعينيات، فقد فقدت 10% من مجموع قساوسها قتلا بالرصاص، أو ذبحا، أو مُزقت أجسادهم بقنابل على أبواب بيوتهم، ولكن هذا لم يعزلها عن الجزائريين لأن هذه المجموعة الصغيرة التي تنظم هذه الهجمات لا تمثل المجتمع الجزائري،

وبالتالي فإن الكنيسة في الجزائر تشعر أنّ المسلمين والمسيحيين صاروا متأخين، وأصبح من الجزائريين من يعمل للاقترب من الكنيسة والمسيحيين أكثر لأنهم يعترفون لهم بهذه الإنسانية الجامعة التي تؤسس للأخوة، ومنهم من يحاول طرد المسيحيين والغائهم لأنهم مختلفون، وهذا المشروع يضع وراءه ما يصطلح عليه التنصير أو التبشير الذي يعني جلب الآخر، ولكن العولمة قد قربت بين البشر، وكلّ يلتقي مع الآخر في إطار التنوع في المبادئ الثقافية والدينية، وكنيسة الجزائر تعمل من أجل إنسان الغد الذي هو في طور الإعداد.

2.3. الإشارة المعطاة من طرف الشهداء المسيحيين (1994. 1996):

يندرج ضحايا الكنيسة في الجزائر ضمن قافلة ضحايا القرن المسيحيين في الاتحاد السوفياتي والصين والفيتنام، والثورة الاسبانية، ورواندا والكونغو وبوراندي وأمريكا اللاتينية، ورغم أنّ الكنيسة في الجزائر فقدت تسعة عشر (19) شهيدا؛ ما يمثل تقريبا عُشر عدد أعضائها، ولكنهم في الحقيقة لا يشكلون إلا عددا صغيرا جدا من مجموع الشهداء، ومما يُميزهم أنّهم أقتيدوا أثناء الأزمة للفداء بحياتهم بشكل غير مباشر حتى لا يستطيعوا نفي إيمانهم، ولا الدفاع عن جاليتهم المسيحية، ولكن إخلاصا ووفاء لشعب مسلم، فلم يبقوا في الجزائر من أجل رعاية الجالية المسيحية لأنّ المسيحيين قد خرجوا، ولكن من أجل إخوانهم المسلمين.

هؤلاء اعتقدوا في قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني أنّ الله يمكن أن يرسلهم كي يشاركوا روحيا من أجل إزاحة الحواجز بين المسيحية والإسلام، وأنّ مهمة المصالحة بين المسيحيين والمسلمين بعد قرون من التصادم والقتال هي من مهام مملكة الربّ.

واعتقدوا أيضا أنّ خدمة الفقراء والنساء في وضعية حرجة، وذوي الحاجات الخاصة، والشباب ولو كانوا مسلمين، هي من خدمات الربّ يسوع، كما أنّهم امتنعوا عن فرحة إحياء الجالية المسيحية، أو العمل ضمن إرساليات إلى بلاد أخرى يكثر فيها المنتصرون ويعملون على إنشاء كنيسة جديدة، وهذه الحركية ذات الخصوصية لضحاياهم استمدوها من آثار القديس أوغسطين الذي رفض الخروج حينما هاجم الوندال إفريقيا الشمالية.

ويذكر الأسقف أنّ ملك أوغندا قتل اثنين وعشرين (22) شابا مسيحيا منتصرا في بدايتهم لأنهم رفضوا إنكار هويتهم المسيحية، وكان هذا التوليد للكنيسة في أوغندا نتيجة عمل جبار للآباء البيض⁽¹⁾ في ثلاث سنوات 1882م إلى 1885م، وكان الآباء البيض ينصحون المنتصرين من الشباب في أوغندا بإنكار هويتهم المسيحية، بينما رهبان تبحرين لم يكن ممكنا أن يغادروا مكان صلاتهم بمجرد أول تهديد، ولكن ولاءهم المطلق للكنيسة جعل منهم ضحايا، وقد تقدم إلى الكنيسة شباب جزائريون للتطوع مكان

(1) تسمى كذلك جمعية مبشري السيدة الإفريقية أسسها لافيغري في 1869م، والفرع المسلح سنة 1891م، ونسبت إلى اللون الأبيض لأنه لباس أعضائها المشابه تماما للزي العربي في الجزائر. يُنظر: بقطاش خديجة، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1871)، 124.

الضحايا كما حدث مع الآباء البيض الأربعة الذين تم اغتيالهم بتيزي وززو بتاريخ 1994/12/27م، وأيضا مكان الأختين من إرسالية الأخوات الأوغسطينيات ⁽¹⁾ اللتين اغتيلتا أمام باب كنيسة الصغيرة في حيمما، وقد كتب أحد الضحايا: "إن كُتب لي يوما أن أكون ضحية الإرهاب، أحب أن تتذكّر جاليتي وكنيستي وأسرتي أنّ حياتي أعطيتها لله وللجزائر (البلد المسلم)"، كما أنّ المؤلفات الكثيرة التي نُشرت حول هؤلاء الضحايا تدلّ على أنّ تضحياتهم وجدت صدى في قلوب الكثير من الأشخاص.

3.3. نبذة من التاريخ:

كانت أزمة الجزائر في التسعينيات حادة في استهدافها للفوج الصغير من المسيحيين الموزع على أربع أبرشيات (قسنطينة، والجزائر، ووهران، والأغواط) الذي لم يتعدّ عدده عشرين ألفا سنة 1992م من مجموع ثمانية وعشرين (28) مليوناً، حيث بدأت بإغلاق المدارس الأجنبية، مما أدى إلى مغادرة الأسر الأجنبية، ثم تلتها الهجمات ضد الزوجات الأجنبية مما دفع بهنّ للمغادرة، بينما المتعاونون من الشرق الأوسط وخاصة الأقباط من 1975 إلى 1990م غادروا البلاد بسبب تدهور قيمة الدينار.

وفي سنتي 1993-1994م تناقص عدد الجالية المسيحية إلى بعض الآلاف من الأشخاص بين البروتستانت والكاثوليك - بنسبة أكبر قليلاً، ويشرف عليها مائة وخمسين (150) راهبا ومائتي (200) راهبة وبعض العشرات من المتعاونين المسيحيين العرب الذين عادة ما يضمنون حركية وعلاقات الجالية المسيحية، أما المجموعات الصغيرة من أتباع الإرساليات الإنجليزية التي بدأت تشكل في تدرج ضمن تحليل آخر.

وفي شهر سبتمبر 1993م تمّ اختطاف زوجين ألمانين يمثلان شركة ألمانية، وجُعلا كرهينتين في منزلهما بالقرب من الجزائر العاصمة وأُمرّا بمغادرة البلاد - لأنه لا مكان للأجانب المسيحيين في الجزائر -، وفي نفس الشهر تم اغتيال تقنيّين اثنين فرنسيين، وفي أكتوبر 1993م اختطفت السيدة توفينو (Tovenot) - وهي واحدة من ثلاثة أشخاص من السفارة الفرنسية الذين تم اختطافهم كرهائن - وأطلق سراحها أمام مركز عبادي مسيحي معها رسالة تأمرهم بمغادرة البلاد قبل 1993/12/01م، لتقع بعدها مذبحة أولى لمجموعة كبيرة من العمال الأجانب بتاريخ 1993/12/14م بتمزقيدة ناحية المدية قريبا من دير تيبجرين راح ضحيتها اثنا عشر (12) كرواتيا لشركة يوغسلافية ذبحوا جميعا.

في ظل هذه الأوضاع المتوترة قرّر القساوسة والراهبات كلّهم البقاء في البلاد، وبعضهم اتخذ احتياطاته وانتقل إلى الأماكن الأقلّ خطورة، وكان الهجوم الأول ضد الرهبان مباشرة في 1994/05/08م في مكتبة بوشنب بالقصبة حيث قُتل فيه أخ مريمي، وهو معلم قدم إلى الجزائر بعد الاستقلال، وأخت من

(1) جمعية مسيحية نسوية دخلت إلى الجزائر سنة 1963، ينظر: Raymand facilina, Théologie en situation une communauté chrétienne dans le tiers monde (Algérie 1962- 1974), Etude pour le 5eme colloque du Cerdic Strasbourg , 7-8 juin 1974, Strasbourg, anexe 318.

أخوات العذراء اللواتي حضرن إلى المغرب العربي قبل ثلاثين (30) سنة، يعملن في حي محروم وفقير من أجل شباب محرومين، ويُقدّم من خدمات إنسانية غير تنصيرية.

وفي 1994/10/23 م تم اغتيال راهبين اسبانيين بباب الواد في حيهم، وفي 1994/12/24 م تم اغتيال أربعة (4) من الآباء البيض في مقرهم بتيزي وزو، وفي 1995/09/02 م تم اغتيال راهبتين اثنتين كانتا تشتغلان منذ خمسة وعشرين (25) سنة في تكوين البنات، وفي 1995/11/10 م تم اغتيال راهبة فوكولدية في مقاطعة القبة، وكانت ذروة هذا العنف مع الرهبان السبعة بتيبحرين الذين تم اغتيالهم في 1996/05/21 م، بعد ستة وخمسين (56) يوما من الاختطاف ليلة 26-27 مارس 1996 م، وفي 1996/08/01 م أُلقيت قنبلة على بيار كلافري (Piere Claverie) أسقف وهران وسائقه المسلم محمد شبيخي.

تُسجّل تضحيات الرهبان التسعة عشر (19) في إطار المشروع الواسع لإحياء الكنيسة الجزائرية منذ قرن ونصف (منذ الاحتلال) مع الأسماء اللامعة كالكاردينال لافيغري (Charles Lavigerie) ⁽¹⁾ (1825-1892)، والأب شارل دوفوكو (Charles De Foucauld) ⁽²⁾ (1858-1916) والكاردينال ليون إيتيان دوفال (Léon-Etienne Duval) (1903-1996).

وتضحياتهم حتى الموت تعطي نظرة أخرى وتفسيرا آخر لتاريخ الكنيسة في الجزائر بعيدا عن التواطآت مع النظام الاستعماري الذي تمكّنت فيه الكنيسة من الانغراس والانتشار في المناطق الهامة من الوطن حيث وصلت حتى الواحات بالجنوب الكبير، وذلك بالنظر إليها - الكنيسة - كضحية، مع محاولة فهم دوافع الضحايا التسعة عشر في الأزمة، وتحرير الأحكام المسبقة بين المسيحيين والمسلمين، وبيان إلزامها العمل على العلاقات الدينية والثقافية البينية في ظل الاحترام والتنوع والانتباه للآخر.

وفي التاريخ الرسمي للجزائر المستقلة انغرست وتجدّرت المواقف المتخذة من طرف هؤلاء الرهبان والراهبات ضحايا الأزمة.

(1) تعتبر فترته من 1866 م إلى 1892 م أهم مرحلة في تاريخ الأسقفية والتبشير المسيحي في الجزائر حيث بلغ ذروته، وذلك بالنظر إلى شخصيته القوية وصلاته المتينة، وتجاربه الكبيرة، والظروف الصعبة التي تعرضت لها الجزائر في عهده كالمجاعة والأوبئة بين عامي 1867 م و1868 م. وأيضا ميلاد جمعية تنصيرية على أرض الجزائر المسلمة هي جمعية الآباء البيض والأخوات البضاوات، ينظر Chanoine P. Repetici, curé de maison carrée, L'Algérie Chrétienne Esquisse Historique 1830-1930, p 188-200.

(2) تزي بالزي اليهودي ودخل الأسواق المغربية (المملكة المغربية) على رجله أو على حمار على عادة أهل البلد، وبعد ذلك أصدر كتاب "معرفة المغرب"، وفي سنة 1905 م استقر بالهقار وتعلم اللهجة التارقية وألف معجما عنها، وكان يجلب الأهالي ويتقرب إليهم، ويستقبل الجنرالات والقادة الفرنسيين كلما مرّوا على الهقار فيقيم لهم حفلات الغناء والطرب، وكان العين الأمنية على نشاطات الحركة السنوسية بالمنطقة، ولم يكن مثل الآباء البيض يعمل في الظاهر والباطن ولكنه كان يعمل في الباطن فقط متخذا الغموض والتمويه أسلوبا مع الجبهة والعامية وأشباههم إلا أنّ التوارق اكتشفوا نشاطه فقتلوه سنة 1916 م. ينظر: سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج 6، ص 136.

ويرى الأسقف هنري تيسي (Henri Teissier) أنّ هذه ليست كل الحقيقة؛ بل هناك تواجد للمسيحيين في الجزائر من غير انقطاع بين نهاية الكنيسة القديمة والميلاد الجديد أثناء فترة الاحتلال الفرنسي، وكعلامة رمزية نأخذ فرقة العازارين (Les Lazaristes) التي تواجدت بالجزائر منذ سنة 1646م وبقيت إلى اليوم، وأيضا تأسيس فرقة الآباء البيض والأخوات البيضاء سنة 1868م بالجزائر، وكذلك الأخوات الصغيرات بتقرت سنة 1939م، والإخوة الصغار ليسوع سنة 1933م بالأبيض سيدي الشيخ.

هذه التجربة المسيحية التي أسست علاقات روحية مع المسلمين كانت في الواقع حقيقة جديدة بالنسبة للكنيسة في الجزائر، وبعد الاستقلال أصبحت هذه العلاقة المميّزة خيرا مشتركا للجميع، ورغم أنّ العديد من الأوساط الجزائرية اليوم تمتلك تفسيراً سلبياً للوجود المسيحي وتمجّد المكون العربي الإسلامي وتعتبره وحيدا، إذ تربط وجود الكنيسة بالاستعمار، إلا أنّ هناك أشخاصا ومجموعات يقرؤون التاريخ الجزائري قراءة أخرى ويرون هذا التواجد أكثر نفعا، وهو أمر ضروري للمسيحيين في الجزائر، وهذه القراءة الجديدة تركز على ما يلي:

- المسيحية ليست غريبة في الجزائر، فقد كانت الكنيسة الكاثوليكية حاضرة من نهاية القرن الأول إلى نهاية القرن العاشر حيث وصلت إلى مستويات روحية عالية مع أوغسطين، ولهذا السبب أصبح العديد من الجزائريين بعد موجة التطرف 1980م إلى 1995م يعتبرون المرحلة المسيحية من تاريخ البلاد من مظاهر الهوية الوطنية، وفي البيئة البربرية يعتبر هذا الجانب أحيانا أقوى وأعظم من تلك التي نتجت عن الفتح العربي الإسلامي، وتاريخ الكنيسة في العهود القديمة يعتبر مصدرا مهما للمسيحيين الجزائريين اليوم.

- اللقاء بين الطوائف الدينية خلال الحقبة الاستعمارية يؤكد النظرة الإيجابية للتعايش السلمي بين الديانات الثلاث (الإسلام والمسيحية واليهودية) رغم الازدراءات التي انتشرت هنا وهناك في الحقبة الاستعمارية بسبب عدم المساواة، والعديد من الآباء يحتفظون بهذه الذكريات الجميلة.

- إيقاظ ذاكرة التاريخ المسيحي في البلاد حيث أنه لم يسبق في تاريخ العالم العربي الإسلامي أن تمت إدانة الجرائم المرتكبة ضد المسيحيين باسم الإسلام، مثلما حدث في الجزائر في سنوات الأزمة.

وهذه القراءة الجديدة تهدف إلى تحديد موقع الوجود المسيحي في تاريخ الجزائر القديم والمعاصر، إذ من المهم اتخاذ خطوة إضافية كما يعتقد الأسقف مثل اللقاءات التي كانت في عهد الأمير عبد القادر بين المسيحيين والمسلمين، وتأسيس العديد من الفرق المسيحية على أرض الجزائر.

4.3. كنيسة الجزائر في قلب الأزمة:

يبين صاحب الكتاب أنّ الكنيسة تعرضت لثلاث موتات (انهيارات) كما يلي:

1- الموت (الانهيار) الأول المتمثل في الرحيل الجماعي للمسيحيين أثناء الاستقلال حيث غادر مليون أوروبي مسيحي، وبعض الآلاف من المسيحيين من أصل جزائري - اعتنقوا المسيحية - خاصة في منطقتي

القبائل والصحراء خلال الفترة الاستعمارية، وبالتالي فقد حُرمت الكنيسة من شعبها المؤمن ومن هياكلها المشيَّدة.

2- الموت (الانهيار) الثاني المتمثل في خروج الجماعة الجديدة المتكونة من بضعة آلاف من التقنيّين والمعلمين والمتعاونين التي قدمت إلى الجزائر في السنوات الثلاثين الأولى من الاستقلال، وحملت مسؤولية الشهادة المسيحية في المجتمع الجزائري المسلم، وأعطت جسدا جديدا للكنيسة، وكان ذلك في بداية الأزمة بسبب انخفاض قيمة الدينار الجزائري، وغالبيتهم من الشرق الأوسط.

3- الموت (الانهيار) الثالث الذي كان يلوح في الأفق؛ فبعد رسالة أكتوبر 1993م لم يصبح الأمر متعلقا برحيل الأجانب وإنما برحيل المسيحيّين خاصة، إذ بداية من 01 ديسمبر 1993 انطلقت الهجمات ضدّ المسيحيّين كما تمت الإشارة إلى ذلك. وكان أول استهداف للرهبان ما وقع بتيزي وزو في 08 ماي 1994م لأربعة من الآباء البيض وانتهاء بأسقف وهران في أوت 1996م، وهو موت جسدي بالتصفية العنيفة لعُشر مجموع الكهنة والرهبان والراهبات.

كما تعرضت الكنيسة بعد الاستقلال إلى ذبائح أخرى تمثلت في غلق وتحويل ما يقارب سبعمائة (700) كنيسة أو مركز عبادة إلى مساجد، ومراكز ثقافية وملحقات للمدارس العامة بعد رحيل أصحابها، ثم في سنة 1976م تم تأميم جميع مدارسها ومراكزها التعليمية الأخرى في إطار اشتراكية الدولة التي أرادت ضمان السيطرة المطلقة على جميع المبادرات في البلاد، فتركت ما يقارب من مئة (100) مدرسة أو مركز تدريب مهني وعشرات رياض الأطفال، ومستشفيات ومستوصفات ومراكز استقبال البنات، ومراكز خدماتية ليجد المسيحيّون أنفسهم دون هيكل خدمي، وانتهى العام الدراسي باغتيال الأسقف المساعد المنتهية ولايته بشوّه الكهنوتي حيث كان قد غادر لتوه الكاردينال دوفال (Duval).

ولكن بعد هذه المعاناة قام المسيحيون بتعميق علاقاتهم مع شركائهم المسلمين أثناء الأزمة الجزائرية بصفتهم يشتركون في نفس الهموم، فالوئام المدني والمصالحة وشروط المغفرة تعني الجميع، وأسئلة الذين قُتل ذووهم واغتصبت أمهاتهم أو بناتهم، وأُحرقت مدارسهم وتعطلت مصانعهم هي أسئلة الكنيسة أيضا كما يرى هنري تيسي. وهكذا اكتشفت الكنيسة هذه الرسالة وعمّقها، وأمست تشارك في العمل من أجل الأشخاص الأكثر حرمانا، وضحايا العنف المحتاجين لدعم نفسي، والنساء في وضعية صعبة، وتدريب الفتيات الريفيات، والاهتمام بالمعاقين وأسرههم.

وعندما كان المسيحيّون يملؤون قاعات الاجتماعات والمؤتمرات تردّد المسلمون في الانضمام إلى الكنيسة، وعندما كان الحجاج المسيحيون يرتادون كنيسة السيدة الإفريقية في العاصمة كان عدد الحجاج المسلمين أقل مما هو عليه الآن.

ولقد مرّت الجالية المسيحية الصغيرة مثل كل الجزائريين بأزمة اجتماعية خطيرة لمدة ثماني (8) سنوات، ساهمت فيها بجهود مضيئة للخروج من هذا العنف، كالعيش اليومي في مقاومة تضامنية مع

بقية الجزائريين، وإبقاء مكاتبها مفتوحة لطلاب الثانويات والجامعات على الرغم من الخطر، باستثناء المكان الذي اغتيل فيه القائمون على إدارتهم كما حدث في القصبة، وأيضا المشاركة في العمل الاجتماعي، والصحة العامة، والتدريب المهني.

وبقاء الكنيسة في الجزائر مخلصه لأعمالها هو شهادة الأمل وشهادة الإيمان، وقد أضحي بعض الجزائريين يطلب من المسيحيين الصلاة من أجل السلام، ولم تكن صلاة المسيحي في الماضي لها قيمة عند المسلمين، ولكنه اعتراف جديد.

أما بالنسبة للمجال السياسي فمن الواضح أن المجتمع المسيحي لا يُشكل أهمية كبيرة عدديا حتى يُعترف به، ولم يكن للكنيسة وسيلة سياسية لنزع سلاح العنف من المجتمع، ولم تكن الطريق مفتوحة أمامها للمطالبة باسم حقوق الإنسان في ذلك.

وعلى مدار خمسين (50) عاما دفعت الهجرة الجزائرية إلى الزواج من فرنسيات تبعن أزواجهن بعد عودتهم إلى الجزائر، وهذه أول أسر مختلطة، ثم في وقت لاحق تزوج العديد من الطلبة والمتدربين الجزائريين من أجنبيات قدامن مع أزواجهن إلى الجزائر كذلك، وفي أعياد الميلاد كانت الزوجات تحضر الاحتفالات في الكنيسة والزوج صائم في رمضان.

ولقد مرت هذه الزيجات بفترات صعبة جراء التهديد مثل كل الأجانب الآخرين، مما اضطر العديد منهم للمغادرة إلى أوروبا وغالبا ما تركن أزواجهن، ووجد الأطفال أنفسهم منقسمين بين ضفتي المتوسط، إذ أنهم وجدوا صعوبة في تقاسم التقاليد الدينية، فالحياة في أوروبا الغربية خاصة مُدّسّة، وفي الجزائر كذلك مُؤسّمة، إلا إذا كان الوالدان أجنبيين وغير مسلمين، ويُعتبر الأطفال المولّدين من هذه الزيجات تقريبا مسلمين على الأقل طالما أنهم يعيشون في الجزائر، ومثل هؤلاء الشباب يشاركون في أنشطة الكنيسة، ولكن بصفتهم أصدقاء للمجتمع المسيحي فقط.

5.3. الحياة من أجل دعوة الرب في جزائر اليوم:

كان رحيل غالبية الأوروبيين اختبارا للكنيسة في الجزائر، حيث وضعت الراهبات أعمالهن في خدمة الجزائريين، واستضافت مجموعات محو الأمية، ومراكز تدريب المرأة، ودورات اللغة العربية، واعتبر هنري تيسي (Henri Teissier) هذا اللقاء عطية من الله يجب أن يرحب به الطرفان، فهو بالنسبة لغير المسلم سرّ اللقاء مع يسوع وإنجيله وكنيسته، فتعريف المسلم والمسيحي ليس من خلال الهوية الدينية فقط، لأن الجزء الكبير من التراث الديني يأتي من مصادر أخرى، وعلى سبيل المثال تطور الوعي بحقوق الإنسان، وحقوق المرأة وحقوق الطفل في المجتمعات المعاصرة.

وهناك العديد من الجزائريين الذين يقتربون الآن من المستقبل بنظرة متجددة بانتمائهم إلى الإسلام ويدركون أنّ هناك خطرا في السماح لرجال الدين والسياسة بالتلاعب بالثوابت التقليدية، وبالتالي يجب التساؤل عن نوع الإسلام الذي يقترحه المسجد أو المدرسة أو رجال السياسة؟

وهكذا اكتشف المسلمون كما يرى هنري تيسي (Henri Teissier) الحاجة إلى إسلام يحترم التنوع القائم بين المسلمين أنفسهم ومع غيرهم، فأصبحوا في كثير من الأحيان يمنحون المسيحيين والكنيسة فرصة للتعبير في مؤتمراتهم أو في مجلاتهم، وبهذا يتطور الحوار الإسلامي المسيحي، وهذا لم يكن معروفا في السنوات الأولى للاستقلال.

أما بالنسبة لأوروبا في علاقتها مع الإسلام فتبرز فيها حالتان رئيسيتان: الحوض الشرقي من المتوسط حيث تعيش الأقليات المسيحية الأهلية، والحوض الغربي حيث ينحدر جميع المسيحيين فيه تقريبا من أصول أجنبية، إذ منذ القرن الحادي عشر والثاني عشر لم يعد هناك تواجد مسيحي أهلي على الرغم من التبادلات التجارية، وانحصر الوجود المسيحي في التجار والمرتزة والعبيد، وأمسى شمال المتوسط هو العدو الذي يجب محاربته. وبعد دخول المسيحيين بالقوة إلى أرض المغرب العربي، ثم استقلال هذه البلدان الأربعة، بقي المسيحي غريبا يمكن الترحيب به بسخاء كضيف على المستوى الشعبي، مع دعوة الحذر منه من طرف القادة السياسيين والدعاة والعلماء، وهو وضع مختلف تماما عن الشرق الأوسط، بحيث يتم إبقاء المسيحيين في كل مكان بعيدا عن المجتمع مثل الأجانب مستحضرين في ذلك تلك المواجهات المستمرة منذ الحروب الصليبية، وتزداد مسألة عدم الثقة بفعل التوترات التي تفاقمت منذ إنشاء إسرائيل التي اعتبرت لفترة طويل جسرا للغرب.

وقد أدى تطور التيارات الإسلامية إلى تفاقم هذه الأحكام المسبقة وخاصة في الجزائر- ويمكن أن يكون في بلدان أخرى- ويمكن الرجوع إلى أسباب ولادة وتطور الإسلاموية في دراسات (Gilles Kipel)، وتعتبر الأصولية العنيفة أنّ المجتمعات الإسلامية قد تركت الإسلام ورجعت إلى الكفر أو الجاهلية، وأمّا المسيحيين فهم من الدرجة الثانية في العداوة وهم من خارج المجتمع، ومن أجل تطوير العلاقة الإسلامية المسيحية يقترح الأسقف ما يلي:

1- عدم إهمال الأحكام المسبقة القديمة، فهي مهمة في كلا المعسكرين لاستخدامها حفاظا على المسافة وعدم العدوان.

2- الاحترام والسّلم في المتوسط، وعدم الخلط بين الحوار والمفاوضات المحتملة مع المجتمعات المسلمة، واعتبار الوضع الجزائري أكثر أهمية من كل بلدان المنطقة.

3- قطع الطريق أمام الإسلاموية العنيفة التي كادت أن تصل إلى السّطة في الجزائر، إذ يمكن أن تكون لها عواقب وخيمة في المتوسط، ويمكن أن تُستغل من طرف الأقليات المسلمة في أوروبا، وتحدث تصدعات بين المسلمين والمسيحيين مما يؤدي إلى إيقاظ الكراهية التاريخية، وعلينا أن نسعى مع المجتمعات المسلمة لعلاج هذا المرض.

4- تطوير التبادلات والتضامن مع المسلمين المنفتحين على احترام التعددية.

- 5- لا يمكن للحوار بين الأديان أن يؤدي ثماره إلا إذا ارتكز على أساس متين من الالتزام الحقيقي بحقوق الإنسان.
- 6- تشجيع الحوار مع المسلمين الذين يؤمنون بالمبادئ الإنسانية، فمن المهم التحدث عن تعدد الزوجات، والتقاء الجمعيات النسائية والانضمام إليها في عملها من خلال التعاطف الممكن، ولا ينبغي اعتبار المسلمين المثاليين ممثلين لأغلبية المجتمع الإسلامي، ولكن ينبغي أن ننظر إلى المسلمين التقليديين بحجة أنهم أكثر إخلاصا لمصادرهم وشعوبهم.
- 7- الاقتراب الروحي مع الصوفيين لا يستغرق وقتا طويلا، والمسافات بين التصوف المسيحي والإسلامي قريبة، ولكن المسافة التي أنشأها التوحيد في الإسلام والثالوث في المسيحية بعيدة.
- وفي الجزائر تُقسّم الثقافة الشعبية المجتمع إلى قسمين: المؤمنون هم المسلمون، والآخر كفار مسيحيون أو يهود أو ملحدون، والإسلام يفرض رفضا قاطعا للأسرار المركزية في المسيحية وهي الثالوث والتجسيد والفداء، وفي نفس الوقت يجد المسيحيون صعوبة كبيرة في النظر بتعاطف إلى الشريعة الإسلامية في مجملها، ويصعب عليهم اعتقاد أنّ محمدا هو خاتم الأنبياء.
- تضاف إلى هذه التوترات العقدية المعارضة التاريخية، فلا يمكن للمسلمين أن ينسوا الحروب الصليبية، وغزوات الاسترداد، وطردها للمورسكيين، والاستعمار، ودعم الغرب لدولة إسرائيل، ولا يمكن للمسيحيين أن ينسوا ما أحدثه الإسلام من تطورات في اختفاء المسيحية والمسيحيين في كثير من مناطق العالم القديم بما في ذلك شمال إفريقيا.
- وإذا نظرنا إلى العلاقة الإسلامية المسيحية في الجزائر فيمكن أن نتعرف على ثلاث فترات سمحت بالتقارب بين الطائفتين العربية البربرية المسلمة والأوروبية المسيحية، هي:
- 1- الكفاح المسلح من 1954م إلى 1962م، إذ لم يتحول الصراع إلى ديني بين المسلمين والمسيحيين لأن كثيرا من الناشطين السياسيين الجزائريين التقوا بالمسيحيين الذين تفهموا نضالهم وعلى رأسهم الكاردينال دوفال (Duval).
- 2- التعاون الإسلامي المسيحي المكثف في السنوات الأولى للاستقلال، أين تحشدت الكنائس والمستوصفات والمدارس والورش والتكوين المهني وغيرها لاستقبال الشباب الجزائري المتحمس للحصول على التكوين.
- 3- عانى المسيحيون من الأزمة التي عاشها المجتمع الجزائري منذ 1992م، وقد نشأ حوار إسلامي مسيحي جديد تعمق بسبب خطورة الأسئلة التي طرحها الوضع على الجميع.
- ولم يُنظّم في الجزائر لقاء فكري حول حوار الأديان، ولكن الهياكل التعليمية الإسلامية ترغب في المشاركة المسيحية لإعطاء وجهة النظر المسيحية حول المسائل التي تهم الهياكل الإسلامية وقادتها ومن

أمثلة ذلك: الكتب السماوية، وكرامة الإنسان، والإسلام وأخلاق الطب، والإسلام وحقوق الإنسان، وبالتالي يرى الأسقف أننا لم نعد نقف وجها لوجه مسيحيين ومسلمين، وإنما أصبحنا نسير معا.

6.3. العولمة. تخمينات أسقف. انطلاقا من الجزائر:

في الوقت الذي كانت فيه القراءة المتطرفة تتطور رفض العديد من المسلمين هذا التطور وادّعى الكثيرون عدم الاعتراف به وقالوا أن الإسلام دين التسامح واحترام الآخر، وكما فعل المسيحيون في بداية القرن العشرين يسعى المسلمون لإيجاد جذور لهذه القيم في مصادر الإسلام القديمة، ويقول الكثيرون اليوم أنّ تحرير المرأة، والتسامح، وحقوق الإنسان، وما إلى ذلك جذورها في القرآن، ولكن في الواقع هذه المفاهيم كشفها لهم تطور المجتمعات الحديثة، وبالنسبة للمسلمين كما بالنسبة للمسيحيين كان هناك تطور للضمير قاد الإنسان المعاصر إلى إعطاء أخلاقيات جديدة لنفسه من خلال إجماع أصبح الآن ذا بعد عالمي ألا وهو حقوق الإنسان واحترام المرأة.

والعولمة جلبت معها قيم مضادة، فمن الحرية تنتقل إلى الفردانية، ومن احترام المرأة تنتقل إلى حرية المرأة في جسدها وصولا إلى الحق في الإجهاض، وكذلك إلى الزواج المثلي. ويشكك الإسلام المعاصر في المجتمعات الغربية من خلال اتهامها بالسماح بتفكيك الرابطة الأسرية، ومن جانبها تدعو المسيحية إلى التشكيك في الإسلام المعاصر عندما تعتقد أنه مبني على رفض الحرية الدينية، إذ ليس للمسلم الحق في ترك الإسلام، كما أنّ المرأة ملزمة بالتعبير عن موافقتها على الزواج من خلال الولي، ومن باب أولى الحديث على تعدد الزوجات، ورفض التبني.

وفي الجزائر يرحب الأشخاص الذين يرفضون القراءات المتطرفة للإسلام بمزيد من الانفتاح عن القيم التي تنقلها العولمة كاحترام الاختلاف، واحترام حقوق الرجال والنساء، والتعددية، والانفتاح على الآخرين بما في ذلك الأجانب أو المؤمنين بدين آخر، وبالنسبة لهم لم يعد المسيحيون بداهة أعداء يجب القضاء عليهم أو تهمة شتمهم أو دحضهم، وإنما هم إخوة في الإنسانية، فنحن في عولمة يتم فيها تأسيس التواصل بين القيم مع احترام الاختلافات، والكنيسة في الجزائر للخدمة الروحية لمجموعة صغيرة من المسيحيين، ولكنها بالأساس من أجل إنشاء علاقة مشاركة إنجيلية مع جميع سكان البلاد، أي مع ثلاثين (30) مليوناً مسلماً.

7.3. ما بعد 11 سبتمبر:

هذا الوقت سادت فيه الفوضى في العولمة واللاعادلة في الشرق الأوسط، وفي هذا السياق كانت أحداث 11 سبتمبر التي ضربت الشعب الأمريكي، ومنها أصبح هناك قلق وإرهاق كبير عند الأشخاص والشعوب، وزادت الكراهية خاصة بين المعسكرات المتخاصمة، وأصبح من المستحيل على الكنيسة والمسيحيين التفكير في الله وفي العالم دون أن تأتي صور تلك التراجيديا، وأحداث أخرى لا تقل قساوة عن أحداث الجزائر في الأزمة كالأحداث فلسطين، ومن غير أن ننسى أحداث سوء التغذية وأحداث الأمراض....

إنّ هذه الأعمال توقظ من جديد الأحزان المشتركة بين المسيحيين والمسلمين، ويجب على الكنيسة في الجزائر أن تعيد التفكير في الدعوة التي أُعطيت لها في إطار فئة مسيحية قليلة في مجتمع مسلم، إذ أنّ تقسيم العالم إلى معسكرين أحدهما للخير والآخر للشر خطأ، وإنّ كل مجتمع له قيمه وله نقاط ضعفه، والإيمان بأنّ هناك معسكر الخير ومعسكر الشر هو الدخول في منطق الحرب، فلا بد من تعيين الشر حيثما كان في المجموعات الصغيرة التي تعتمد إلى الإرهاب الأعمى، ولا ينبغي خلط هذه المجموعات مع مجتمعاتها.

وبالنسبة للدين فحين يتعلق الأمر بديانة عالمية كالإسلام والمسيحية، لا يوجد هناك فضاء خاص بكل ديانة، بل هما ممثّلتان في كل القارات، ولا يمكن أن نضع الخصومة على أساس جغرافي، وبالتالي يجب منع أذى الإرهاب وليس معاقبة المسلمين.

وفي الجزائر لا توجد أقلية مسيحية، ولكن بعض الآلاف من المسيحيين موزعين في البلاد، ولا يمكن أن نضع المجموعات المضادة كما في الدول الأخرى. والقلة العددية في المجموعة المسيحية تلزم كل فرد منها أن تكون له علاقات شخصية مع محيطه الإسلامي، ولا بد من تصحيح مغالطة وقعت فيها الصحافة الغربية حينما تتكلم عن العنف في الجزائر وتقول أنّ النظام الجزائري هو الذي يقتل الأبرياء، وهذا خطأ، والصحيح هو أنّ المجموعات الإرهابية هي التي تقتل الأبرياء، وهي التي قتلت الرهبان السبعة في تيبهرين وليس الجيش الجزائري.

وبالنسبة للحوار الإسلامي المسيحي فالجزائر اليوم في حوار مع نفسها، فمن خلال ملتقى سانت أوغسطين الذي أشرف عليه المجلس الإسلامي الأعلى- هيئة عليا تابعة للدولة- يتضح الخيار، إذ أنّ اختيار القديس أوغسطين وجعله شخصية عظيمة تنتمي إلى التراث الوطني لم يكن اختيارا خارج دائرة الإسلام، وأقلّ منه ضد الإسلام، ولكنها نظرة انفتاحية باسم الإسلام.

هذا الملتقى الذي توبعت أشغاله عبر الميديا، وعبر مائتين وثلثين (230) عنوانا في الصحافة ثلثها بالعربية، وفي بلد مسلم وصحافة مسلمة يسيرها صحافيون مسلمون لجمهور مسلم، نرى من خلاله أنّ الجزائر تتحاور مع نفسها، وفي بعض الأحيان حوارا عاطفيا، إذ هل يمكن أن تعتبر هذه الجزائر العربية المسلمة أو المسلمة البربرية أحدا من أسلافها الأوائل مسيحيا يكتب ويعبر باللاتينية ويعيش في إطار الإمبراطورية الرومانية؟ ويمكن طرح الموضوع كما يلي:

مسيحي بحث في التثليث واعترف بقداسة المسيح، هل يتمتع بالاحترام من طرف المسلمين؟ أو كاثوليكي كافح التمرد الدوناتي وفي بعض الأحيان بحماية وتغطية من طرف النظام الامبريالي، هل يمكن أن يُنظر إليه كابن لهذه الأمة؟

إنّ حوار الجزائر مع نفسها يتلقى سؤالاً عميقاً: هل يمكن أن أكون جزائرياً لا عربياً ولا مسلماً؟

ولكن الجزائر بعد استقلالها لم يسعفها الحظ في رئيس يفعل مثلما فعل بورقيبة في تونس الذي صاغ بسرعة قانون أسرة متفتح، بينما في الجزائر بقي نقاشا مفتوحا إلى سنة 1984م، أين اعتمد المجلس الشعبي الوطني قانونا للأسرة أكثر رجعية بالنسبة لقانون الأسرة التونسي، وكذلك بالنسبة لكثير من بلدان الشرق الأوسط، وفيما يخص تنزيل القانون على الواقع فالسيد عبد المجيد مزيان رئيس المجلس الإسلامي الأعلى كانت له الشجاعة لطرح المشكل من جديد أثناء ملتقى عقدته هيئته تحت عنوان: " المرأة بين الحقوق الإيجابية والشرعية"، والمواقف التي اتخذها كانت موضوعا للانتقاد اللاذع من طرف بعض الأوساط، وفتح نقاشا حقيقيا على مستوى نصف مجموع الصحف الوطنية، وقد كتبت صحيفة الوطن (El watan) الناطقة بالفرنسية مثلا: " لأول مرة رجل دين جزائري رفيع المستوى يبدي رأيه أمام الرأي العام حول التعدد والطلاق التعسفي، ويدعو النساء إلى المطالبة بالحقوق".

هذا الطرح رفضته الأحزاب الإسلامية ممثلة في حركة مجتمع السلم، وحركة النهضة وممثل عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ المحلة، بالإضافة إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وقد عبّر الأسقف هنري تيسي (Henri Teissier) عن سروره باستحضار النقاش حول الشروط الأنثوية التي تطورت في أطروحات هذا الملتقى، إذ يكون من السهل جمع ملف حول هذا الموضوع من خلال نشاط الجمعيات النسوية وأجوبة الإسلاميين حول ذلك ودائما يكون المعسكران في جو ملغم لا مخرج منه.

ورغم أنه لم تبرمج في الجزائر ملتقيات كبيرة للحوار كما هو الشأن في بلدان الجوار، إلا أنّ المجموعات الصغيرة من المسيحيين استطاعت أن تجد لنفسها مكانا رغم التهديدات التي عاشتها في الأزمنة، فبعد قرن من الزمان منذ وصول الآباء البيض إلى غرداية، حيث منع المسؤولون المزابيون المسلمون المجتمع من التعامل معهم باعتبارهم كفارا، ولكن حينما أقامت الكنيسة مئوية القدوم فتحت امرأة مزابية صالحتها الكبيرة واستقبلت الضيوف الذين أحيوا الذكرى، كما وقّر رئيس البلدية خيمة كبيرة للضيافة اليومية خلال ثلاثة أيام، وامتألاً مركز الآباء البيض من طرف الأصدقاء المسلمين الذين حضروا محاضرات حول الأب شارل دوفوكو، هذا البيت كان قد ضُرب في سنة 1993م من طرف الجماعات المسلحة أين نجا الآباء الثلاثة بمعجزة.

8.3. نظرات حول مستقبل الكنيسة في الجزائر:

مستقبل الكنيسة في الجزائر يعتمد قبل كل شيء على نعمة الله وحرية الشعب الجزائري، وإذا اتخذ الشعب الجزائري خيارا قاسيا لجميع الناطقين بغير العربية فسيكون من الصعب بشكل ملموس على المسيحيين الذين غالبا ما يكونون أكبر سنّا من أن يتعلموا اللغة العربية للبقاء في الجزائر، وإذا انزلق المجتمع الجزائري إلى الفوضى الاجتماعية والاقتصادية فقد يجعل ذلك من الصعب حضور الأجانب وبالتالي قدوم المسيحيين من الخارج وما إلى ذلك.

وبالإضافة إلى الشرطين السابقين فلا بد من ولادتنا الحالية لكي تستمر الكنيسة من خلال إخلاصنا اليومي، وعندما يتقاسم المسيحيون والمسلمون (الإنسانيون) عطية الله، هنا يتشكل مستقبل الكنيسة. والمعارك ضد أعداء الكنيسة تؤدي إلى كنيسة الغد، إذ أنه لا يوجد إجماع بين الجزائريين على وجود المسيحيين، فالبعض يعتبر أن وجود المسيحيين عفا عنه الزمن، ويعملون على استبعادهم من إقامة علاقة مع الجزائريين، كما يعملون على تحجيم الكنيسة إلى بنية داخلية للجماعة الأجنبية، ومما يهدد مستقبل الكنيسة هو المغادرون بسبب الأزمة، وأيضا الولاء الذي يشير إلى خارج البلاد والذي يهيء دعوات جديدة.

4. خاتمة

يمكن إجمال نتائج القراءة فيما يلي:

أولا: الكاتب:

- 1- هو رئيس الأساقفة في الجزائر لمدة عشرين سنة من 1988 إلى 2008م، ونال الجنسية الجزائرية سنة 1965م، عاش في الجزائر ولم يبرحها، ودُفن فيها.
- 2- يتقن عدة لغات فبالإضافة إلى لغته الأم الفرنسية، يتقن اللغة العربية والإيطالية والإسبانية.
- 3- عُرف بمواقفه المتزنة ومرونته في التعامل مع قرارات الدولة الجزائرية من خلال قرار تأميم التعليم سنة 1976م، ومن خلال أحداث أزمة التسعينيات في القرن الماضي، ومن خلال قانون ممارسة الشعائر الدينية لغير المسلمين سنة 2006م، فهو يعمل من أجل ضمان استمرارية الكنيسة في الجزائر ومن أجل إنسان الغد.

ثانيا: النشاط الكنسي:

- 1- ركز الكاتب تحليله على الطائفة الكاثوليكية وأهدافها وأسلوبها في إعادة بعث الكنيسة في الجزائر، بينما ذكر الطائفة البروتستانتية في تعداد الجالية المسيحية ولم يذكرها في أعمالها وأهدافها، وأشار أن المجموعات الصغيرة من أتباع الإرساليات الإنجيلية التي بدأت تتشكل تندرج في تحليل آخر، ولم يتطرق إطلاقا للطائفة الأرثوذكسية لعدم وجودها، وتطرق فقط إلى قدوم الأقباط الذين في معظمهم من الأرثوذكس، ولكنهم غادروا البلاد بعد الأزمة الاقتصادية التي عصفت بالبلاد سنة 1986م ونتج عنها تدهور قيمة الدينار الجزائري، عكس الطائفتين الآخرين الكاثوليكية والبروتستانتية المرتبط تواجدهما بالاستعمار الفرنسي.

- 2- الجالية المسيحية في الجزائر تمثل مجموعة صغيرة ولا تصل في تعدادها أن تكون أقلية، بالإضافة لكونها أجنبية تحصل بعض قساوسها على الجنسية الجزائرية بداية من سنة 1965م.
- 3- تعرّضت الكنيسة في الجزائر إلى ثلاث موات (انهيارات): أولها الخروج الجماعي للمسيحيين بعد الاستقلال، وثانيها إغلاق الكنائس التي أمست فارغة من مرتاديها وجميع مرافقها من الروضات ومراكز

الاستقبال ومراكز التكوين المهني وغيرها بعد الاستقلال، وتأميم التعليم سنة 1976م الذي أدى إلى توقيف التعليم الكنسي بشكل نهائي، وثالثتها هو العنف الذي ضرب الجزائر في تسعينيات القرن الماضي دفعت الكنيسة خلاله تسعة عشر (19) ضحية.

4- يندرج تواجد الكنيسة في الجزائر ضمن استمراريتهما من غير انقطاع بين نهاية الكنيسة القديمة والميلاد الجديد أثناء فترة الاحتلال الفرنسي، كما تُسجّل تضحيات الرهبان التسعة عشر (19) أثناء أزمة التسعينيات في إطار المشروع الواسع لإحياء الكنيسة في الجزائر منذ الاحتلال.

5- مما يهدد مستقبل الكنيسة المغادرون بسبب الأزمة، وأيضا الولاء إلى خارج البلاد والذي يهيء دعوات جديدة، ومهما كانت المعطيات فالكنيسة في الجزائر تعمل من أجل إنتاج إنسان الغد.

ثالثا: أثر النشاط الكنسي في الجزائر بعد الاستقلال.

1- انغراس الكنيسة في التاريخ الرسمي للجزائر المستقلة من خلال المواقف المتخذة من طرف الرهبان والراهبات ضحايا الأزمة.

2- وصول الكنيسة في الجزائر إلى حالة جديدة تمثلت في وجود أشخاص ومجموعات يقرؤون التاريخ الجزائري قراءة مغايرة لارتباط الكنيسة بالاحتلال الفرنسي، ويضعونه أكثر انتفاعا، وهذه القراءة الجديدة تركز على ما يلي:

أ- المسيحية ليست غريبة في الجزائر، فقد كانت الكنيسة الكاثوليكية حاضرة من نهاية القرن الأول إلى نهاية القرن العاشر ووصلت إلى مستويات روحية عالية مع القديس أوغسطين، وتواصلت منذ القرن السابع عشر بتواجد فرقة العازارين سنة 1646م إلى الاحتلال الفرنسي الذي ساهم في اللقاء بين الطوائف الدينية الثلاث (الإسلام والمسيحية واليهودية)، ولهذا السبب أصبح العديد من الجزائريين بعد موجة التطرف 1980م إلى 1995م يعتبرون أنّ المرحلة المسيحية من تاريخ البلاد من مظاهر الهوية الوطنية، وفي البيئة البربرية يعتبر هذا الجانب أحيانا أقوى وأعمق من تلك التي نتجت عن الفتح العربي الإسلامي، وأيضا فإن تاريخ الكنيسة في العهود القديمة (قبل الإسلام) يعتبر مصدرا مهما بالنسبة للمسيحيين الجزائريين اليوم.

ب- إيقاظ ذاكرة التاريخ المسيحي في البلاد حيث أنه لم يسبق في تاريخ العالم العربي الإسلامي أن تمت إدانة الجرائم المرتكبة ضدّ المسيحيين باسم الإسلام، مثلما حدث في الجزائر في سنوات الأزمة.

3- رغم كل هذه التطورات إلا أنّ المسيحي في الجزائر يبقى غريبا يمكن الترحيب به بسخاء كضيف على المستوى الشعبي، مع دعوة الحذر منه من طرف القادة السياسيين والدعاة والعلماء، وهو وضع

مختلف تماما عن الشرق الأوسط، بحيث يبقى بعيدا عن المجتمع، مع استحضار تلك المواجهات المستمرة منذ الحروب الصليبية، وتزداد مسألة عدم الثقة بفعل التوترات التي نشأت منذ ولادة الكيان الإسرائيلي.

وفي الأخير هذه بعض الاقتراحات التي أراها ضرورية:

1- نشر الفهم الصحيح للإسلام بين فئة الشباب بالخصوص، وهذا يبدأ بالمراحل الأولى من التعليم وانتهاء بمراحل التدرج.

2- الاهتمام الجاد من طرف الهيئات والمؤسسات المعنية بالشباب وذوي الحاجات الخاصة، والمرأة والطفل، حتى لا تقع ضحية فيتلقفها النشاط الكنسي.

3- تفعيل دور المؤسسات الدعوية والدينية بالخصوص للعب دور ريادي للحد من نزوغ الشباب.

4- السعي للوصول إلى فريق متخصص ومتكون في دراسة النشاط الكنسي بالجزائر.

5. قائمة المراجع

- بقطاش خديجة، 2007، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1871)، الجزائر، منشورات دحلب.
- التميمي عبد الجليل، من ملامح التفكير التبشيري عند المسؤولين الفرنسيين في القرن التاسع عشر في الجزائر، الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي، تيزي وزو 22-10 جمادى الثانية الموافق 22-10 يوليو 1973، المجلد الثالث، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر.
- الجريدة الرسمية، الجمعة 03 شوال 1389 هـ الموافق 12 ديسمبر 1969 م، س 6، ع 104.
- الجريدة الرسمية، الأربعاء 01 صفر 1427 هـ الموافق 01 مارس 2006 م، س 43، ع 12.
- جورج طرابيشي، 1987، معجم الفلاسفة، بيروت، دار الطليعة، ط 1.
- سعد الله أبو القاسم، 1998، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 1.
- سفيان، ع، 2020/12/02، رحيل صديق الجزائر وداعية الإنسانية والتسامح، جريدة الشروق اليومي، الجزائر، ع 6654.

- قمرأوي غنية، بلعمري سميرة، بوكروح عبد الوهاب، زيزي حسان، 8002/20/01، رئيس أساقفة الجزائر هنري تيسي، إليكم أحوال المسيحيين في الجزائر، جريدة الشروق اليومي، الجزائر، ع 0222.

6. Bibliography List

- BAGTACHE Khadidja, 2007, The French Missionary Movement in Algeria (1830-1871) , Dahlab Publications, Algeria.
- Boz Pierre, History of a Diaspora, Thirty Years of the Diaspora of the Christians of North Africa, (proceedings of the colloquium of November 23,1996) organized by the association of Kabyle Original Christians and their friends, editions IBIS PRESS 75005, 1997, Paris.
- Canon P. Repeticci, parish priest of a square house, Christian Algeria Historical Sketch 1830- 1930, NOSTRE DAME library, 37 Michelet street, Algiers.
- Denis Gonzalez, 2008, Cardinal Léon Etienne Duval, the Voice of a Just (1903-1996) , ENAG Edition, Algiers.
- El-Tamimi Abdeldjalil, Features of missionary thinking among French officials in the nineteenth century in Algeria, Seventh Forum for the Identification of Islamic Thought, Tizi Ouzou, July 10-22, 1973, Volume 3, Publications of the Ministry of Original Education and Religious Affairs, Algeria.
- Gamraoui Ghania, Belamri Samira, Boukrouh Abdelwahab, Zizi Hassan, Feb 10, 2008, Archbishop of Algeria Henri Teissier, here are the conditions of Christians in Algeria, Daily newspaper El Chourouk, Algeria, N° 2220.
- George Tarabishi, 1987, Dictionary of Philosophers, Dar al-Tali'ah, edition 1, Beirut.
- Henri Teissier, 2002, Christians in Algeria a sharing of hope, Desclée de Brouwer, Paris.
- Marie-Christine Ray, 1984, Cardinal Duval a bishop in Algeria, Centurion, Paris.
- Martine de Sauto, 2006, Henri Teissier, a bishop in Algeria, from French Algeria to the Islamist crisis, edition Bayard, Paris.
- Raymand Facilina, Theology in situation a Christian community in the third world (Algeria 1962-1974) , Study for the 5th colloquium of the Cerdic Strasbourg, 7-8 June 1974, Strasbourg, Cerdic publication 1974.
- Saadallah Abou El Kassim, 1998, Algeria's Cultural History (1830-1954) , Dar El-Gharb El Islami, edition 1, Beirut.

- Soufiane A, Dec 02, 2020, The departure of the friend of Algeria and the advocate of humanity and tolerance, Daily newspaper El Chourouk, Algeria, N° 6654.
- The Official Journal, Friday 03 Shawal 1389 H corresponding to December 12, 1969, Q6, P104.
- The Official Journal, Wednesday 01 Safar 1427H corresponding to March 01, 2006, Q43, P12.